مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٤/٧

الأحد ١٥ شباط

أحد مرفع اللحم

تذكار القديس أنيسيمس الرسول

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثاني

الرسالة

(١ كورنثوس ٨: ٨–١٣؛ ٩:١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نَزيدُ وإن لم نأكلْ لا نَنقُص* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا مَعثرةً للضُّعفاءِ* لأنَّهُ إن رآكَ أحدٌ يا مَن لهُ العلمُ متَّكِئًا في بيتِ الأوثانِ أفلا يتقوَّى ضميرُهُ وهو ضَعيفٌ على أكل ذبائحِ الأوثان* فيهلِكَ بسبَبِ علمِك الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجله* وهكذا إذ تُخطئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطِئون إلى المسيح* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحمًا إلى الأبدِ لئلاَّ أشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحِ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الرب* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإني رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هوَ أنتم في الرب.

حول الرسالة

المسألة المطروحة في الإصحاح الثامن من رسالة القديس الرسول بولس الأولى إلى أهل كورنثوس هي ما إذا كان يحقّ للمسيحيين شراء فضلات الذبائح المقدّمة للآلهة الوثنيّة، والتي كانت تباع في الأسواق أو تؤكل في الأمكنة الملحقة بالمعابد الوثنيّة. جواب الرسول المبدئيّ هو حريّة المسيحيّين بإزاء أكل ذبائح الأوثان أو عدمه. فالمسيحي يعرف أنّ الآلهة الوثنية غير موجودة. وتالياً، لا شيء يحول، من حيث المبدأ، دون تناول فضلات اللحوم المقدّمة في هياكل الوثنيّين. هذه الحريّة الممنوحة لكلّ من تعمّد على اسم يسوع غالية على قلب الرسول، إذ نجده، مثلاً، يشدّد عليها في بدء الإصحاح التاسع «ألستُ أنا رسولاً؟ ألستُ أنا حرًّا؟» (١:٩) ويحضّ المؤمنين، غير مرّة، على تثمينها: «إنَّكم إنَّما دُعيتم للحريَّة أيها الإخوة» (غلا٥:١٣)، و«حيثُ روحُ الرَّبِّ هناكَ حريَّةٌ» (٢كور٣:١٧). لكنّ الحريّة المسيحيّة، بالنسبة إلى الرسول بولس، ليست القيمة الأعلى في ما يختصّ ببنيان الكنيسة. وهذا ما يتبدّى بوضوح في المقطع البولسيّ الذي رتّبت الكنيسة المقدّسة تلاوته يوم أحد الدينونة، أو أحد مرفع اللحم. بولس،هنا، لا ينحصر في هذا الجواب المبدئيّ المستند إلى حريّة المسيحيّ، على وضوح الجواب ومنطقيّته. فالتذكير بالحريّة لا يتيح حلّ المشكلة المطروحة في كنيسة كورنثوس، وهي بالذات اعتماد بعض مؤمني هذه الكنيسة على هذه الحريّة لتناول فضلات الذبائح الوثنيّة. ما أدّى إلى احتجاج بعض الأخوة «الضعفاء»، معتبرين أنّ سلوكاً كهذا لا يليق، إذ لا توجد شركة بين المسيح والأوثان.

ويستهلّ بولس المقطع المتلو علينا بقول قد يستغرب بعضنا إيراده على مشارف الصوم الكبير: «لكنَّ الطعامَ لا يُقدِّمُنا إلى اللهِ. لأنَّنا إن أكلنا لا نزيدُ وإنْ لم نأكل لا ننقُص» (٨:٨).

كيف نفسّر تشديد الكنيسة على هذا القول البولسيّ قبل بدء الصوم بقليل، وهو الزمن الذي يُطلب فيه من المؤمنين الامتناع عن بعض الأطعمة؟ هذا القول بالذات هو ما يضع الصوم في إطاره الحقيقيّ. فالقضيّة ليست الأكل في ذاته أو الامتناع عنه، بل الموقف من القريب، من الأخ.

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١–٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدِهِ وجميعُ الملائكةِ القديسين معهُ فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدِه* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأممِ فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيمُ الخرافَ عن يمينه والجداءَ عن يسارِهِ* حينئذٍ يقولُ الملكُ للذينَ عن يمينهِ تعالَوْا يا مباركي أبي رِثوا المُلكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريبًا فآويتموني* وعُريانًا فكسَوْتموني ومريضًا فعُدتُموني ومحبوسًا فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبهُ الصدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعًا فأطعمناك أو عطشانَ فسقيناك* ومتى رأيناك غريبًا فآويناك أو عُريانًا فكسوناك* ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنّكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضًا للذين عن يساره إذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النار الأبديّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائكته* لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريبًا فلم تُؤووني وعُريانًا فلم تَكسوني ومريضًا

بالاستناد إلى ذلك، مسيحيّو كورنثوس مدعوون إلى الحدّ من حرّيتهم، إذا جاز التعبير، رغم أنّ المسيح نفسه معطيها، أي إلى الإحجام عن تناول ما يفضل عن ذبائح الأوثان لئلاّ «يهلك الأخ الضعيف» الذي يستصعب ضميره أن يجد أخاً مسيحيًّا له «متّكئاً في بيت الأصنام» أو منصرفاً إلى التهام بعض بقايا ذبائحها. ويصعّد الرسول بولس هذه الدعوة عبر مماهاته الأخ الضعيف بالمسيح. فالمسألة ليست مسألةً «فرديّةً» أو «داخليّة» ضمن تجمّع بشريّ، كائناً ما كان شكله، بل هي تتعلّق بيسوع مباشرةً. فمن أخطأ إلى الأخ الضعيف يخطئ إلى المسيح نفسه. هذا طبعاً يذكّرنا بالإنجيل الذي يتلى علينا في هذا الأحد بالذات، أي أحد الدينونة، حيث يجعل الملك السيّد من «إخوته الصغار» المقياس «الوحيد» الذي ستتمّ الدينونة على أساسه: «بما أنّكم فعلتموهُ بأحدِ إخوتي هؤلاءِ الأصاغر فبي فعلتُمْ» (مت ٢٥:٤٠).

ينتج من هذا أنّ القيمة الكبرى التي ينبغي للمؤمنين احترامها والعمل بمقتضاها هي محبّة القريب. هذه المحبة وحدها هي التي ترسم للحريّة المسيحيّة أطرها: «لا تصيِّروا الحريّةَ فرصةً للجسدِ بل بالمحبةِ اخدموا بعضُكم بعضاً» (غلا٥:١٣). هذا الدرس الذي يعطيه بولس الرسول لمسيحيّي كورنثوس في ما يخص أكل ذبائح الأوثان عن أسبقيّة المحبّة على الحريّة يمكننا أن نستمدّ منه عبرة ما بعدها عبرة بالنسبة إلى كيفيّة عيش الصوم الكبير الذي يقرع أبوابنا. مقياس الصوم الأول ليس كميّة الأطعمة التي نتناولها ولا عدد الساعات التي نصومها في اليوم الواحد، ولا هو بطبيعة الحال أنواع المآكل التي نتناولها وتلك التي نعفّ عنها. هذه كلّها مهمّة، ومن الضروري أن نتقيّد بترتيبات الكنيسة حيالها. بيد أنّ هذه كلّها قواعد تعيننا على الولوج إلى غاية الصوم واكتناه سرّه الأعمق، لكنها ليست هي في ذاتها جوهر الصوم. جوهر الصوم، كما يتبدّى من المقطع الذي نحن في صدده، هو التدرّب على محبّة القريب بوصفه الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله، واقتناء هذه المحبّة بالتواضع والغفران. وقد ارتأت الكنيسة أنّ هذا التدرّب يقتضي قنوات ووسائل لا تخصّ جزأنا غير المنظور وحده، أي النفس، بل جزأنا المنظور أيضاً، أي الجسد، لكون الإنسان كلاًّ لا ينفصل ولكون اللامنظور فينا يتأثّر بالمنظور والعكس. هذه الخبرة القديمة، التي تثبتها العلوم الطبيّة الحديثة أيضاً، استتبعت أن تضع الكنيسة قواعد للصوم تنظّم شؤون المأكل والمشرب. غير أنّ الترتيب الكنسيّ لم يقتصر على الأكل والشرب، بل على تكثيف الصلوات حيث تهيمن الدعوات إلى المحبّة والاستسماح والاتضاع والمغفرة. هذا كلّه بغية حضّ المؤمنين على التنبّه إلى أنّ هدف الصوم، أوّلاً، هو التسالم مع القريب، أيًّا كان، واتّخاذ المحبّة نبراساً في التعاطي معه. ولكون شركتنا مع القريب غير منفصلة عن الطبيعة بما فيها من عناصر محيطة بنا، يغدو الصوم، ثانياً، دعوة إلى التسالم مع الكون بمجمله، بحيث لا نقبل عليه مستهلكين عناصره ومدمّرين إيّاها، بل نفطن إلى أنّه شريكنا في مسيرتنا إلى الله، نأخذ منه قسطنا الضروريّ، «خبزنا الجوهريّ»، لضمان استمرار الحياة ونحمي ما يفيض عنّا منه احتراماً للخيرات التي جاد بها الله علينا. بهذه الروحيّة نمتنع اليوم عن اللحم ونشدّ إلينا هذا البهاء الطالع من أناشيد الكنيسة وقراءاتها أنّ الصوم، في نهاية المطاف، هو

ومحبوسًا فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضًا قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعًا أو عطشانَ أو غريبًا أو عُرياناً أو مريضًا أو محبوسًا ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوهُ* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبديِّ والصِدِّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّةِ.

تأمل

تأمَّلوا يا معشر الذين يتنعَّمون وينفقون أموالهم في الأطعمة اللذيذة والأشربة المسكرة والملابس الفاخرة وبالجملة في الأمور غير اللازمة لقيام الحياة وإخوتهم المشاركون لهم في عبودية السيد المسيح يموتون جوعاً وعطشاً ويتضوَّرون من احتياج القوت الضروري. ان الذي أُعطيناهُ وجُعِلَ في أيدينا ليس هو لنا فقط بل لنا وللمحتاجين على حدٍّ سواء. فكما نستعمله في ما نحتاج إليه احتياجاً ضرورياً يجب أن نمنح المحتاجين منه ما يقضون به حاجاتهم الضروريَّة ولا نُخصِّصه بما يخصُّ ذواتنا فقط. ويجب أن نطيع الرسول في ما أمر به ونهى عنه في هذا الصدد. فإن روح مرسله قد نطق فيه قائلاً لا يطلبنَّ أحدٌ ما يوافقه ولكن ليطلب كلِ واحدٍ ما يوافق قريبه أيضاً.

صومنا إلى القريب، إلى الآخر.

وحدة الزواج في المسيحية (تابع)

٢ - علاقة الرجل بالزوجة الواحدة على صورة علاقة المسيح بالكنيسة:

«لذلك يترك الرجلُ أباهُ وأمَّهُ ويلتصِقُ بامرأتِهِ، ويكونان جسداً واحداً» (تك٢: ٢٤)، كذلك «من التصَقَ بالرَّبِّ فهو روحٌ واحِدٌ» (١ كو٦: ١٧). الإتحاد الأول نسمّيه زواجاً جسدياً، والإتحاد الثاني نسمّيه زواجاً روحياً. وفي الكتاب المقدّس أمثلة عديدة على هذا الزواج الروحي بين الله وشعبه أي بين الله وكنيسته كما يصوّره نشيد الأنشاد في صورة شعرية.

ولهذا أيضاً يقول بولس الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس «أغارُ عليكم غيْرَةَ اللهِ لأنّي خطبتُكُمْ لرجل واحد لأقدِّمَ عذراءَ عفيفةً للمسيح» (٢ كو١١: ٢). وفي رسالته إلى أفسس أتى بتفصيلات كثيرة على هذه العلاقة الروحية بين المسيح وكنيسته، مقارناً بينها وبين الزواج الجسداني للرجل والمرأة في أوجه شبه عديدة (أف ٥: ٢٢-٣٣) قائلاً عن الزواج الروحي بين المسيح وكنيسته «إن هذا السر عظيم».

من هذه المقارنة التي أقامها بولس الرسول بين زواج الرجل والمرأة، وعلاقة المسيح بالكنيسة، يمكن الاستدلال بوضوح على شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية. فالقديس ايرونيموس يقول: «إن المسيح بالجسد بتول، وبالروح تزوّج مرة واحدة لأن له كنيسة واحدة، هي التي قال عنها الرسول: أيُّها الرِّجالُ أحِبُّوا نساءَكُم كما أحَبَّ المسيحُ أيضاً الكنيسةَ وأسلمَ نفسَهُ لأجلِها» (أف ٥: ٢٥). فكما أن المسيح مثال يقتدي به البتوليون، في حياته البتولية بحسب الجسد، كذلك هو أيضاً مثال للمتزوجين في علاقته الروحية بالكنيسة. ويضيف القديس ايرونيموس أيضاً «إن بولس في شرح هذا الفصل من أفسس يشير إلى المسيح والكنيسة بقوله: «مِنْ أجلِ هذا يترُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ويلتصِقُ بامرأتِهِ ويكونُ الإثنانِ جسداً واحداً. هذا السِّرُّ عظيمٌ، ولكنَّني أنا أقولُ مِنْ نَحْوِ المسيحِ والكنيسةِ (أف ٥: ٣١-٣٢). لآدم الأول زوجة واحدة في الجسد، ولآدم الثاني: المسيح، زوجة واحدة في الروح. وكما توجد حواء واحدة هي أم كل الأحياء توجد كنيسة واحدة هي أم لكل المسيحيين».

قال بولس الرسول في رسالته إلى أفسس «إنَّ الرَّجُلَ هُوَ رأسُ المرأةِ كما أنَّ المسيحَ أيضاً رأسُ الكنيسةِ» (٥: ٢٣). وعن الجسد قال: «كذلكَ يَجِبُ على الرِّجالِ أن يحبُّوا نساءَهُمْ كأجسادِهِمْ... فإنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أحَدٌ جَسَدَهُ قطُّ بَلْ يقوتُهُ ويُربِّيهِ، كما الرَّبُّ ايضاً للكنيسةِ لأنَّنا أعضاءُ جِسْمِهِ مِنْ لحمِهِ ومِنْ عِظامِهِ» (٥: ٢٨-٣٠). وفي الآية الأخيرة يذكّرنا بولس الرسول بقول آدم عن حواء: «هذه الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظامي ولَحْمٌ مِنْ لحمي» (تك ٢: ٢٣). فكما أن للرأس جسداً واحداً، هكذا للمسيح كنيسة واحدة وللرجل امرأة واحدة، لأنه لو اتخذ الرجل عدة زوجات لما أمكن تشبيهه بالمسيح الذي له كنيسة واحدة. نقول في دستور الإيمان: «أؤمن بإله واحد ... وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية».

يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: «لو كان هناك مسيحان لكان يمكن أن يكون هناك زوجان أو زوجتان. ولكن إن كان المسيح واحداً، الذي هو الرأس الواحد

فإن الله قد أظهر طرقاً كثيرة للخلاص ولم يحصر الفضائل جميعها في تعلقها بأشخاصنا فقط بل جعل منها ما يستقرُّ في ذواتنا كالصوم والصلاة والعفَّة ونحو ذلك. وما ينتهي إلى غيرنا كالصدقة والتعليم والمحبة وأمثالها. فإن هذه تنفعنا وتنفع الذين اتَّجهت من نحونا إليهم. ولا ريب ان هذه الفضائل المتجهة إلى القريب تُبنى على المحبة وهي من خصائص تلميذ المسيح وبها يُعرف انه تلميذه كما قال له المجد: بهذا يعرف الناس انكم أحبائي إذا أحبَّ بعضكم بعضاً. ولهذا قال بولس التلميذ الحقيقيُّ ولو أطعمت مالي وأسلمت جسدي ليُحرق ولم تكن لي محبةٌ فلستُ انتفع بشيءٍ. فهذه غايةٌ عظيمةٌ. وأعظم منها انه لو ان إنساناً بذل دمه في الشهادة وآخر لم يتقدم إليها وقدَّم عليها خير القريب لكان ناجحاً مفلحاً. لأن بولس الرسول قال في هذا المعنى ان الإنصراف والكون مع المسيح أفضل لي، غير ان المقام واللبث في الجسد ممَّا تدعو إليه الضرورة أكثر من أجلكم. فإنه فضَّل خير القريب على الانصراف إلى المسيح الذي هو غاية مراده. فقد تقرر أن الصدقة عظيمةٌ جداً لأن معها يُقبل الصوم.

القديس

يوحنا الذهبي الفم

للكنيسة، فليكن هناك إذاً جسد واحد».

ويأخذ القديس أمبروسيوس هذا التشبيه من ناحية المرأة أيضاً فيقول: «لم تأخذ حواء زوجاً ثانياً ولا الكنيسة المقدسة تعرف عريساً ثانياً».

في محبة الله

+ يحكى عن شيخ بالاسقيط انه عندما كان ينازع، أحاط الاخوة بنعشه وراحوا يبكون عليه. لكن الشيخ فتح عينيه في تلك اللحظة وضحك قليلاً وتوقف، ثم ضحك ثانية وثالثة. فتوسّل إليه الاخوة قائلين: لماذا نحن نبكي وأنت تضحك؟ فأجابهم: ضحكت في المرة الأولى لأني رأيتكم خائفين الموت جميعكم، وضحكت ثانية لأني رأيتكم غير مستعدين، ثم ضحكت ثالثة لأني تارك الأتعاب وذاهب إلى الراحة. وبعدما قال هذا رقد حالاً.

+ قال الأب أنطونيوس: إني لا أخاف الله بل أحبه «لأن المحبة الكاملة تطرد الخوف خارجاً» (١ يو ١٨:٤).

+ زار مرة الأب عمون الذي من النطرون الأب أنطونيوس وقال له: عجباً أيها الأب، كيف ذاعت شهرتك بين الناس أكثر مني، مع اني أجاهد في عمل النسك أكثر منك؟! فأجابه الأب أنطونيوس: لأنّي أحبّ الله أكثر منك.

+ قيل إن أحد الشيوخ طلب مرة من الله أن يريه الآباء، فشاهدهم كلّهم ما عدا الأب أنطونيوس، فقال للذي أراه: أين الأب أنطونيوس؟ فأجابه ذاك: إنه موجود في المكان الذي فيه الله.

كوبا

قام قداسة البطريرك المسكوني برثلماوس الأول في الرابع والعشرين من كانون الثاني ٢٠٠٤ بزيارة لكوبا استمرت ثلاثة أيام. خلال الزيارة كرَّس قداسته كنيسة القديس نيقولاوس في العاصمة هافانا، وهي أول كنيسة أرثوذكسية تُبنى في هذا البلد في وسط العاصمة وقد تبرعت الحكومة الكوبية ببنائها. كان الرئيس فيدل كاسترو على رأس الذين حضروا خدمة تكريس الكنيسة، إلى جانب عدد كبير من المؤمنين المقيمين في كوبا والذين قدِموا من الخارج.

الرئيس كاسترو صرَّح في مقابلة مع الصحافيين انه سوف يطلب من قداسة البطريرك برثلماوس بعض الكتب عن الحياة الرهبانية في الجبل المقدَّس آثوس. يُذكر ان عدد الأرثوذكس في كوبا يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف مؤمن، معظمهم من مدن أوروبا الشرقية.

محاضرة

برعاية سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، وفي إطار الاحتفالات بالذكرى الـ١٢٥ لتأسيس مستشفى القديس جاورجيوس الجامعي، تُقام ندوة عند السادسة من مساء الجمعة ٢٠ شباط ٢٠٠٤ في قاعة البتلوني حول «الفكر الثوري ومستقبله»، يشارك فيها معالي الأستاذ غسان تويني والشاعر أدونيس.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb